

أنوثة وجمال الملكات الآشوريات (٦١٢-٩١١ ق.م)

د. شعلان كامل إسماعيل*

ملخص البحث :

يعد اهتمام المرأة بأنوثتها وجمالها ومظهرها أمراً فطرياً في تكوينها الشخصي الأنثوي منذ الخليقة . فليس غريباً بل من المنطقي ان نعرف مدى اهتمام الملكات الآشوريات بجمالهن وأنوثتهن مثل الاهتمام بشعرهن ومحاولة تصفيفه وقصه وصبغه كجانب من جمالهن . وليس هذا فقط انما الغاية الأساسية هي إثارة الملك زوجها وجذبه نحوها وإغرائه والحفاظ عليه كزوج بشتى الوسائل ومنها الاهتمام بنظافتهم ونظارتهم وإظهار جمالهن بمساعدة مساحيق التجميل والتعطر والاهتمام بملابسهن ، بل وحتى الملابس الداخلية كوسيلة جنسية وإغرائية ، وذلك بفطرة المرأة وطبيعتها الأنثوية .

Beauty and womanhood of Assyrian's Queen

Abstract

Since the beginning of life , women's care for their beauty, femininity and appearance has been instinctual in their feminine character . It is not strange yet quite logical to know to what extent Asserian queens cared for their beauty and femininity such as taking care of their hair , trimming it down and dyeing it in order to show how beautiful they were . However , the main objective was to arouse their husband – the king , attract his attention and entice him to keep him as a husband by all possible means such as caring for their cleanness , attractiveness and slowing their fairness by using make – up , perfume and by taking good care not only of their clothes , but also of their lingerie as a sexual and seductive means ; a woman does that by instinct clue to her feminine nature .

* استاذ مساعد ، قسم حضارات الشرق الأدنى القديمة ، كلية الآثار

تمهيد :

يعد اهتمام المرأة بأنوثتها وجمالها ومظهرها أمراً فطرياً في تكوينها الشخصي الأنثوي منذ الخليقة . فليس غريباً بل من المنطقي ان نعرف مدى اهتمام الملكات الآشوريات بجمالهن وأنوثتهن مثل الاهتمام بشعرهن ومحاولة تصفيفه وقصه وصبغه كجانب من جمالهن . وليس هذا فقط انما الغاية الأساسية هي إثارة الملك زوجها وجذبه نحوها وإغرائه والحفاظ عليه كزوج بشتى الوسائل ومنها الاهتمام بنظافتهم ونظارتهم وإظهار جمالهن بمساعدة مساحيق التجميل والتعطر والاهتمام بملابسهن ، بل وحتى الملابس الداخلية كوسيلة جنسية وإغرائية ، وذلك بفطرة المرأة وطبيعتها الأنثوية .

ومن المعروف ان الملوك الآشوريون ، خلال العصر الآشوري الحديث كان لديهم العديد من الزوجات والمحظيات . ويبدو ان الحياة اليومية في جناح الحريم " بيتانو " bitanu^(١) ضمن القصر الملكي لا تخلو من التوتر والمنافسة بسبب وجود عدد كبير من النساء مع أطفالهن يعيشون معاً فضلاً عن المنافسة الشديدة فيما بينهن على رجل واحد مشغول جداً وهو الملك وعليه كان الملوك الآشوريون يصدرن المراسيم الملكية لغرض تنظيم الحياة في جناح الحريم وتحديد واجباتهم وحقوقهم^(٢) .

ولابد من ذكر التردد الكبير في كتابة هذا البحث لسنوات وسبع جوانبه لما قد يلاقيه من معترضين لحساسية وجرأة الطرح ، ربما يسأل البعض ما أهمية هكذا موضوع وحضارة العراق القديم ، في حين ان للموضوع أهمية في فهم بعض الجوانب الحضارية والاجتماعية الأسرية والاطلاع على تفاصيلها الدقيقة في الحياة اليومية والوقوف على البدايات والغايات والأساليب سواء كانت العائلة ملكية او عائلة اعتيادية ، ففي النهاية المرأة هي المرأة والرجل هو الرجل .

تسريح شعر الملكات :

كما ذكرنا فان الجمال مهم وغريزي في شخصية المرأة ، وكانت الملكات الآشوريات حريصات على جمالهن من خلال تسريح شعرهن وتصفيفه وترتيبه وصبغه بألوان مختلفة من اجل الحصول على المظهر الجميل واللائق ، ومن البديهي فان الملكات والمحظيات في القصر الملكي الآشوري ، خلال العصر الآشوري الحديث ، كُنَّ يراعين جانب التغيير في التسريحات ولون شعرهن من وقت لآخر من اجل زيادة جمالهن وإبرازه

بشكل متجدد ومثير وعدم الوقوع في رتابة صورة الشكل الواحد المتكرر دائماً ، ويتضح ذلك من خلال إحدى الرسائل التي عثر عليها في قصر الملك الآشوري آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) الموجهة الى " شاكنتو " MI - Sakintu مشرفة جناح الحريم في القصر الملكي^(٣) ، ونعلم من نص الرسالة ان مشرفة جناح الحريم قد أرسلت الى مصففة شعر من خارج القصر لتقص شعر الملكة وتصبغه حسب رغبة الملكة ، إلا ان مشكلة حدثت في دخول هذه المرأة (مصففة الشعر) الى القصر ، وبالتالي فهي تطلب المساعدة من " الشاكنتو " لدخول القصر وانجاز عملها ، حيث نقرأ في الرسالة ما نصه :

" سيدتي شاكنتو رسالتك ، لقد مباشرة ومسرعة ، انه اليوم الثاني وانا واقفة أمام باب قصر سيدي الملك العظيم ولم يسمحوا لي بالدخول . والحراس يبعدوني ، أرجو ان تتدخلني عند " راب - ايكالي " (مشرف القصر) لكي أتمكن من الدخول فهو الذي أمر بعدم دخولي . اما بالنسبة لي فقد أحضرت كل أدواتي اللازمة لتصفيف شعر سيدتي الملكة سيدة قصر سيدي الملك العظيم ملك الجهات الأربع ، وكما أمرت ، حتى اني قرأت في رسالتك [ان سيدتي الملكة تريد ان تقص شعرها الطويل لأنه يزعجها عند النوم] كل شيء جاهز سيدتي الشاكنتو في قصر سيدي الملك العظيم ان ما تقولينه حول رغبة سيدتي ، الملكة العظيمة سيدة قصر الملك العظيم ، بصبغ شعرها بلون الحناء فهذا جميل وأمره عندي جداً بسيط ، فقد صبغتُ المئات من شعر النساء بهذا اللون او غيره مثل لون القمر او لون الشمس وهو يعتمد على رغبة سيدتي الملكة ، أنا لا اعرف ماذا افعل . اذا لم يسمحوا لي بالدخول ، أود ان ارضي سيدتي الملكة العظيمة وأرضيك ،"^(٤)

وفي رسالة أخرى موجهة الى مرافقة الملكة ووصيفتها " بيصوتي Pisuti " (٥) ،
نعلم انها قد أرسلت شخصاً لجلب أصباغ للشعر خاص للملكة ، ويتضح من الرسالة ان
المكان المقصود بعيد ومليء بالجبال ، حيث نقرأ في الرسالة ما نصه :

" ٠٠٠ الى سيديتي خادمة ومرافقة
الملكة العظيمة زوجة سيدي الملك
العظيم ملك البلاد الواسعة ومن اختارته
آلهة السماء كلها وأحبتة ، ٠٠٠ ، ٠٠٠ ،
لقد جلبت كل ما أمرتني به وبكميات
كافية من أصباغ الشعر وبأنواع وألوان
مختلفة ٠٠٠ ، سوف أتأخر قليلاً في
طريق العودة لأن الطرق غارقة بالماء
والثلوج والوحل . لغزارة الأمطار والثلوج
فهذه البلاد ليست كبلدنا الجميل التي
يرعاها سيدي الملك العظيم ملك كل
البلاد ويرعاها الآلهة " نابو " ويحميها ٠٠٠
وأرسلت رسالتك التي هذ لك تعلمي
يا سيديتي الملكة العظيمة ، اني لم اتماهل
وأتقاعس في عملي ٠٠٠ وكذلك اذا
كان هناك أشياء أخرى ترغب بها سيديتي
الملكة العظيمة وتأمري بها فأعلميني
قبل عودتي ٠٠٠ " (٦) .

إن اهتمام الملكات والأميرات الآشوريات بشعرهن لم يقتصر على تصفيفه وصبغه
فقط بل وصل الى درجة إنهن استخدمن الشعر المستعار تحديداً الضفائر لإضافة لمسة
جمالية ، وذلك في بعض المناسبات الرسمية ، ويبدو ذلك واضحاً من خلال إحدى الرسائل
التي عثر عليها في قصر الملك الآشوري " آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) الموجهة الى
وصيفة الملكة ، واصفة ضفائر الملكة الآشورية التي صنعت خصيصاً لها وحسب طلبها ،

كيف انها متناسقة وبارزة وذات لمعان واضح ولا يمكن تمييزها عن الشعر الحقيقي للملكة ،
حيث نقرأ في نص الرسالة :

" ٠٠٠ سيدتي وصيفة الملكة العظيمة
سيدة قصر سيدي ملك الملوك العظيم
العظيم ، من أحبته الآلهة آشور ونابو ، ٠٠٠ ،
كم فرحت عندما رأيت سيدتي الملكة
العظيمة وهي تمشي وسط مرافقاتها
والكاهنات على ارض المعبد العظيم لتقدم
القرابين والشكر للإله العظيم آشور ٠٠٠
لقد رأيت جمالها الذي لا يوصف وشعرها
البراق وضفائرها الطويلة اللامعة المتناسقة
لو لم أكن أنا من صنعهم وربطهم بواسطة الشرائط
الملونة بشعر سيدتي الملكة العظيمة ،
حسب رغبتها ، لما عرفت ، ٠٠٠ ، كانت
الضفائر جميلة . وأعلمك سيدتي اني سعيدة
في خدمة الملكة العظيمة وخدمتك ٠٠٠ " (٧) .

يمكن القول ان الملكات الآشوريات ، ومن خلال النصوص التي ذكرت ، اهتمن
بشعرهن كثيراً ، قد يصل الى حد المبالغة ، فالغاية الظهور به بمظهر جميل وأنيق في كل
وقت ومناسبة فضلاً عن محاولتهن الاستزادة من الجمال والجاذبية ، فان الوسائل والأساليب
والأدوات بل وحتى الآراء والأفكار التي اتبعوها للوصول الى درجة من جمال المظهر ،
عن طريق شعرهن يعد مظهراً حضارياً رائعاً لحضارة العراق القديم ، فالجمال الجسدي
ومحاولة الوصول اليه من ميزات الشعوب والحضارات المتطورة .

الأنوثة والإغراء :

ان طبيعة المرأة وأنوثتها والرغبة التي لا تحدها حدود في إظهار الجمال الخارجي والجسدي بشتى الطرق وفي كل الأزمنة استحوذ على جزء كبير من اهتمام النساء طوال حياتهن ، ويمكن القول ان محاولة فهم الشخصية الأنثوية للمرأة وسلوكها المبالغ باهتمامها بجمالها ومظهرها وعاطفتها قد استوقف الكثير من علماء الاجتماع والفلسفة من اجل فك طلاسمها . ومن هذا المنطلق كانت الملكات الآشوريات كنساء وزوجات والمحظيات في القصر الملكي يفعلن الكثير في سبيل جمالهن وأنوثتهن ، ومن تلك الوسائل كانت مساحيق التجميل التي تساعدن في الظهور بوجه جميل وبراق وجذاب بل ومثير ايضا .

ومن المعروف ان العراقيين القدماء عرفوا مساحيق التجميل بأنواع وألوان متعددة ، فالأسطورة السومرية " نزول عشتار الى العالم السفلي " تذكر كيف ان الآلهة " انانا (عشتار) " استخدمت مسحوق تجميل ظلّ العيون ضمن استعدادها للنزول الى الأرض ، وكان ظلّ العيون هذا يسمى " عسى ان يأتي " ، فضلاً عن الكحل الذي كان يوضع حول العين بواسطة دبوس عاجي . ومن مساحيق التجميل التي كانت تستخدم ايضا صبغ احمر الوجه والشفاه الذي كان يسمى باللغة السومرية " عجينة الذهب " وباللغة الاكدية " صبغ احمر الوجه " (٨) .

اما في العصر الآشوري الحديث وعلى الرغم من قلة النصوص التي يرد فيها ذكر لمساحيق التجميل واستخداماتها فقد عثر على رسالة في قصر الملك " آشور بانبيال " موجهة الى وصيفة الملكة التي كلفت إحدى خادمت الملكة بالسفر الى جنوب العراق لجلب مساحيق تجميل وأقمشة للملكة الآشورية ، حيث تذكر في رسالتها انها نجحت في مهمتها وجلبت ما هو مطلوب ، ونقرأ في نص الرسالة :

" ٠٠٠ سيديتي وصيفة الملكة العظيمة
سيدة القصر الملكي زوجة سيدي الملك
العظيم ملك البلاد ، الملك الذي يركع تحت
قدميه كل الملوك والأمراء ، الملك الذي
أحبه الآلهة وترعاه وتحميه . ان حراس
الملك العظيم ملك العالم كانوا يقظين جداً
أثناء السفر . يسعدني يا سيديتي وصيفة
الملكة العظيمة ان أخبرك انني
أحضرت كل ما أمرت به من ألوان صبغ
الشفاه والخدود والحناء ، وكل أنواع الأقمشة
التي لا تليق إلا لمليكتي العظيمة سيدة
قصر الملك العظيم ، أكثر نساء القصر جمالاً ،
٠٠٠ أنا الآن في منتصف الطريق بين
مدينة الوركاء المقدسة ومدينة نينوى
المقدسة التي تسكنها الآلهة وتحمي
الملك العظيم ، ٠٠٠ سأكون أمام سيديتي
الوصيفة في قصر سيدي الملك العظيم
في غضون أيام قليلة ، ٠٠٠ اذا كان
هناك شيء لا تحبه سيديتي وصيفة الملكة
العظيمة أرجو ان تخبرني به عند وصولي ، حتى
اجعل سيديتي سيدة القصر العظيم الملكة العظيمة
مرتاحة ٠٠٠ " (٩) .

ويبدو ان اهتمام الملكات الآشوريات بجمالهن لم يكن محصوراً في جمال الوجه
وتزيينه بمساحيق التجميل وتصفيف الشعر وتسريحه وصبغه ، وانما الاهتمام ببشرتهن ايضاً
والحفاظ عليها طرية نظرة ناعسة بل وحتى أطراف اليدين والرجلين كانت محل اهتمامهن

كجزء من جمالهن وأنوثتهن ، بالإضافة الى التعطر بالروائح الزكية لاستكمال الجمال والإثارة بكل حواسه ، فالوجه الجميل والجسد الفاتن ذو الملمس الناعم الطري الذي تنبعث منه الروائح الزكية المحببة قد تجعل من الجمال قوة لا تقاوم ، حيث نقرأ في إحدى الرسائل ، التي عثر عليه افي قصر الملك آشور بانيبال ، المرسله الى وصيفة الملكة ، ما نصه :

" ٠٠٠ سيديتي وصيفة الملكة العظيمة سيديتي
قصر الملك العظيم سيدي ملك البلاد كلها ٠٠٠
لقد أنجزت ما طلب مني وقمت بقص أظافر
يدي ٠٠٠ ، الملكة العظيمة وشذبتهم ووضعت
عليهم الزيت كما أمرتني حتى أصبحت أظافر
سيديتي الملكة العظيمة مثل اللؤلؤ الأبيض ،
ووضعت الزيت الخاص على يديها ورجليها وأصبحت
طرية مثل يدي ورجلي الطفل ٠٠٠ ولكن
سيديتي وصيفة سيديتي الملكة العظيمة ،
أخبرك ان العطر المفضل لدى سيديتي
الملكة العظيمة ٠٠٠ شارف على النفاذ بعد ان
عطرتها ، أرجو ان تعلمي بذلك ٠٠٠ " (١٠) .

بعد كل هذا الاهتمام والحرص من الملكات الآشوريات ومحظيات الملك ، كي يظهرن بمظهر جميل وجذاب كان لابد من استثماره على الوجه الأمثل وللغاية المنشودة في جذب الملك الزوج نحو مخدعها باستمرار وتربعها في قلبه وكسب حبه ووده . وربما ذلك لا يتم بالجمال وحده دون الإغراء الأنثوي الجنسي بتسخير الجسد وإظهار بعض مفاتنه لإثارة الغريزة العاطفية والجنسية عند الملك .
ويبدو ان الملكات الآشوريات عرفن هذه الحقائق بفطرة وغريزة المرأة ، وعلى الأغلب إنهن مارسن الإغراء الجسدي والجنسي عن طريق الاهتمام بملابسهن الداخلية وجعلها إحدى وسائل الإغراء والإثارة .

ان ما نعرفه عن الملابس الداخلية لنساء القصر الآشوري (الملكات والمحظيات) قليل ولا يتعدى النصف من المعلومات وذلك لقلة ظهور المرأة في المنحوتات الآشورية ، ومن خلال بعض النصوص النادرة نعلم ان المرأة الآشورية كانت تلبس حمالات الصدر مصنوعة إما من الجلد الخفيف او من القماش ، وحسب مكانة المرأة في المجتمع ^(١١) ، وبما ان الحديث عن نساء القصر فبال تأكيد كانت تلك الملابس من أرقى ما يكون ، فحمالات الصدر كانت تزين بقطع ذهبية على شكل نجمة او دوائر بالإضافة الى مجموعة من اللآلئ او الأحجار الكريمة ، فمن خلال إحدى الرسائل الجوابية الموجهة الى وصيفة الملكة نعلم بأنها قد كلفت إحدى المختصات والعاملات في جناح الملكة الآشورية بصنع مجموعة من حمالات الصدر للملكة من جلد غزال صغير حديث الولادة وتزينهم بالذهب واللآلئ فضلاً عن مجموعة من اللباسات الداخلية القصيرة المصنوعة من القماش الناعم وأشرطة لتثبيتها ، حيث نقرأ في نص الرسالة :

" ٠٠٠ ، ٠٠٠ سوف تكون كل حمالات الصدر الخاصة بالملكة العظيمة سيدتي ملكة القصر ، جاهزة قبل الوقت المحدد ، وأعلمك سيدتي باني قد أنجزتها كما أمرتني ، صنعت القسم الأول منها من جلد الغزال الحديث الولادة وهو ناعم جداً ولونه جميل ووضعت النجمة الذهبية في الوسط وحولها اللآلئ الجميلة التي أرسلتها لي وكما أمرتني ، وجعلت شرائط التثبيت من نفس جلد الغزال بعد ان نقعتها بالزيت لتزداد طراوة ونعومة وأما [٠٠٠] وأنا الآن اعمل على انجاز مجموعة اللباسات الداخلية من القماش الذي أرسلته لي ، انه حقاً ناعم ورقيقاً ، ٠٠٠ ، وسأجعل أطوالهم قصيرة كما طلبت سيدتي وسوف تكون أشرطة التثبيت من الخارج وبألوان جميلة ومتعددة [٠٠٠] أرجو ان يكون عملي متقناً فانا اعمل في خدمة جناح الملكة العظيمة منذ مدة طويلة ٠٠٠ " ^(١٢) .

ولابد من الإشارة ان كل تلك الملابس المثيرة التي كانت الملكات الزوجات والمحظيات الملكيات يرتدينها ، ومحاولات الإغراء والإثارة كانت تتم فقط داخل " بيت

شري bit Sarri " (١٣) وهو الجناح المخصص لسكن الملك . فعندما يكون الملك موجوداً في القصر ونائماً فيه عندها فقط تسدعي الملكة الزوجة (او إحدى زوجاته او محظياته لتتأم معه ، اما عند غياب الملك خارج القصر فعليها ان تترك " بيت شري " وتعود الى جناحها الخاص " سنيشات - ايكالي Sinijat - ekalli " (١٤) وعند مغادرة جناح سكن الملك عليها ارتداء الملابس اللاتقة (المحتشمة) ، حيث تؤكد المراسيم الملكية الخاصة بحريم القصر ، كل تلك التصرفات وتضع الضوابط اللازمة الخاصة بحياة نساء القصر ، زوجات الملك او بناته ومحظياته وكذلك الوصيفات والخادמות والعاملات وتحركاتهم داخل القصر الملكي (١٥).

الخاتمة :

يعد البحث محاولة للكشف عن جانب حضاري اجتماعي مهم في المجتمع العراقي القديم عموماً والمجتمع الآشوري ، خلال العصر الآشوري الحديث خصوصاً . ان الحديث عن أنوثة وجمال الملكات الآشوريات وأسلوب حياتهن كزوجات مع الملك لا يخلو من الصعوبة والتردد ، اما الصعوبة فلندرة النصوص المسمارية وصعوبة الحصول عليها من المصادر الأجنبية لموضوع يتناول جانب من الحياة الشخصية للملكات وحياتهن العاطفية والأنثوية ، خصوصاً ان النظام الاجتماعي والإداري في القصر الملكي الآشوري لا يسمح بتداول هذه المواضيع في النصوص الملكية او التطرق الى حريم القصر والملكات قدر الإمكان ، حيث يعد المجتمع الآشوري والعراقي القديم عموماً جذوراً للمجتمع الشرقي الذكوري الذي يحافظ على المرأة بقدر كبير من الخصوصية في مختلف جوانب حياتها ، في حين ان التردد كان لما لمسها الباحث عند لفيف بسيط من الباحثين في حساسية الموضوع شكلياً واحراجياً وعدم جدواه وكونه جريئاً أكثر من اللازم في طرق مواضيع شبه محرمة في مفاهيمنا الشرقية ونسوا ان لا حياء في العلم .

وبالتأكيد فان غاية البحث معرفة جانب مهم جداً من الحياة الخاصة للملكات الآشوريات واهتماماتهن بجمالهن وإظهار مفاتهن ، وغالباً مع شيء من الإغراء لإثارة ودغدغة مشاعر وقلب زوجهن الملك للوصول الى حالة الحب لتكوين حياة زوجية طبيعية . ويبدو ان هذه الغاية كانت بحاجة لكثير من العمل والاجتهاد مع وجود عدة زوجات ومحظيات كلهن يتنافسن على حب وإرضاء هذا الرجل الملك .

الهوامش :

- (١) إسماعيل . شعلان كامل ، " الحياة اليومية في القصر الملكي الآشوري - خلال العصر الآشوري الحديث " ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، موصل (١٩٩٩) ، ص ٥٤ .
- (2) Saggs. H.W.F, The Might way Assyria , London (1984) , p.150.
- (3) Postgate . J.N, The Tablet From Shalmaneser III, London (1984), p. 27 .
- (4) Rugehe . Morlon , The buyty in Ancient Iraq, pareis (2002) , translated by . M aechel. D. London (2003) , pp . 81-82 .
- (5) Pfeiffer . R, State letters of Assyria , New York (1935), pp. 164-165, No. 230.
- (6) Rugehe . Morlan , Op. cit , p. 84.
- (7) Ibid , pp. 91-92 .
- (8) Saggs. H.W.F, Op. cit , pp. 159-160.
- (9) Rugehe . Norlon , Op.cit , pp. 89-90.
- (10) Ibid , p. 108.
- (11) John . C.H.W, Assyrian Deed and Documents , London (1923), p. 362.
- (12) I bid , p. 363-364.
- (13) Turner. H.Geoffry , " Tell Nebiy Yonus The Ekal Masarti of Nineveh " , Iraq, vol. XXXII, London (1970) . p .79, (pp.68-85).
- (14) Leuys . H, " Nitokry / Naqias " , JNES, Chigago (1952), p. 270 (pp.264-286).
- (15) Saggs. H.W.F, Op. cit , pp. 159-160.

دراسات موصليّة ، العدد (٢٩) ، جمادى الأول ١٤٣١ هـ / أيار ٢٠١٠ م

(٧٨)